

# فاتح بلاد السند

محمد بن القاسم الثقفي

إعداد الشيخ/ أسامة صلاح الشرقاوي

## محمد بن القاسم الثقفي

اسمه

هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم  
الثقفي

مكانته

فاتح بلاد السند والبنجاب، وهي دولة  
باكستان الآن، التي هي من أكبر البلاد  
الإسلامية، وتاريخها جزء عزيز من  
التاريخ الإسلامي الكبير، ويُعتبر محمد  
بن القاسم الثقفي مؤسسًا لأول دولة  
إسلامية في الهند؛ ولذلك يبقى اسمه  
شامخًا في سجلّ الفاتحين الأبطال.

## مولده ونشأته

وُلِدَ محمد بن القاسم الثقفي سنة  
(٧٢هـ = ٦٩١م) بمدينة الطائف في  
أسرة معروفة؛ فقد كان جدُّه محمد بن  
الحكم من كبار الثقفين. وفي سنة  
(٧٥هـ = ٦٩٤م) صار الحجاج بن  
يوسف الثقفي والياً عاماً على العراق  
والولايات الشرقية التابعة للدولة  
الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن  
مروان، فعين الحجاج عمَّه القاسم والياً  
على مدينة البصرة، فانتقل الطفل محمد  
بن القاسم إلى البصرة؛ حيث يحكمها  
والده، فنشأ محمد منذ نعومة أظفاره  
بين الأمراء والقادة، ثم بنى الحجاج  
مدينة واسط، التي صارت معسكراً

لجندة الذين يعتمد عليهم في الحروب،  
وامتلأت بسكانها الجدد وقوم الحجاج،  
وفي هذه المدينة وغيرها من مدن  
العراق نشأ وترعرع محمد بن القاسم  
الثقفي وتدرَّب على الجندية؛ حتى  
أصبح من القادة المعروفين وهو لم  
يتجاوز بعدُ ١٧ عامًا من العمر.  
وكان محمد بن القاسم الثقفي يسمع  
كثيرًا عن بلاد السند، ولم تكن تلك  
البلاد في ذلك الحين غريبة على  
المسلمين؛ فقد كان لهم فيها سابقة من  
غزوات في عهد الخليفة عمر والخليفة  
عثمان ب، ثم زاد اهتمام العرب ببلاد  
السند حين قامت الدولة الأموية على يد  
الخليفة معاوية بن أبي سفيان في سنة

(٤٠هـ = ٦٦١م)، حتى نجح في فتح إقليم مهمّ بتلك البلاد؛ وهو إقليم مكران، الذي كان يحكمه الولاة الأمويون بعد ذلك بصفة مستمرة. عدوان قراصنة السند

حدث في سنة (٨٨هـ = ٧٠٧م) أن سفينة عربية كانت قادمة من جزيرة الياقوت (بلاد سيلان) وعليها نساء مسلمات، وقد مات أبوهنّ، ولم يبقَ لهنّ راع هناك، فقرّرَن السفر للإقامة في العراق، ورأى ملك سيلان في ذلك فرصة للتقرب إلى العرب فوافق على سفرهنّ، بل حمّل السفينة بهدايا إلى الحجاج والخليفة الوليد بن عبد الملك، وبينما كانت السفينة في طريقها إلى

البصرة مارّة بميناء الديبل ببلاد السند،  
خرج قراصنة من السند واستولوا  
عليها. وعندئذ كتب الحجاج إلى ملك  
السند يطلب منه الإفراج عن النساء  
المسلمات والسفينة، ولكنه اعتذر عن  
ذلك بحجة أن الذين خطفوا السفينة  
لصوص لا يقدر عليهم، فبعث الحجاج  
حملتين على الديبل؛ الأولى بقيادة عبيد  
الله بن نبهان السلمي، والثانية بقيادة  
بُدَيْل البجلي، ولكن الحملتين فشلتا، بل  
قُتِلَ القائدان على يد جنود السند.  
ووصلت الأخبار إلى الحجاج أن النساء  
المسلمات والجنود العرب مسجونين  
في سجن الديبل، ولا يريد ملك السند  
الإفراج عنهم عنادًا للعرب، وهنا كانت

الأسباب تُلحُّ على الحجاج في إرسال جيش كبير لفتح تلك البلاد، التي كان قراصنتها يُضايقون السفن العربية التجارية المارّة بين مواني البلاد العربية ومواني بلاد الهند.

فتوحاته

قرّر الحجاج فتح بلاد السند كلها، وقد وقع اختياره على محمد بن القاسم الثقفي ليقود الجيش، وجّهّزه بكل ما يحتاج إليه في ميدان القتال، وتحرك البطل محمد بن القاسم بجيشه المكوّن من ستة آلاف مقاتل من العراق إلى الشّيراز في سنة (٩٠ هـ = ٧٠٩ م)، وهناك انضمّ إليه ستة آلاف أخرى من الجند، وبعد استكمال الاستعدادات في

شِيرَاز انطلق محمد بن القاسم ومعه  
اثنا عشر ألف مقاتل إلى الشرق، حتى  
وصل مُكَرَّان، ثم توجَّه منها إلى  
فنزبور، ثم إلى أَرْمَائِيل، ثم هجم  
المسلمون على مدينة الدَّيْل فافتحموا  
أسوارها فدخلها ابن القاسم، وبعد فتح  
مدينة الدييل -أحصن مدن السند-  
واصل محمد بن القاسم سيره، فكان لا  
يمرُّ على مدينة إلا فتحها وهدم معابد  
الوثنية والبوذية بها، وأقام شعائر  
الإسلام، وأسكنها المسلمين، وبنى  
المساجد حتى غيَّر خريطة البلاد تمامًا،  
وصبغها بصبغة إسلامية تامَّة.

استطاع محمد بن القاسم أن يبهر  
الهندوس بشخصيته القوية الحازمة،



وقد تعجبوا من شجاعته وحُسن قيادته  
لجيش كبير وهو دون الثامنة عشر،  
وبالفعل أسلم عدد كبير من الزُّطِّ وهم  
من بدو الهنود، وانضمَّ منهم أربعة  
آلاف رجل يُقاتلون مع محمد بن  
القاسم، وكان لهم أثر كبير في القتال  
لخبرتهم بالبلاد ومعرفتهم بلغة الهنود.  
ثم إن محمد بن القاسم سار إلى البيرون  
(وهي حيدر آباد حاليًا) فتلقاه أهلها  
وصالحوه كذلك، وكان لا يمرُّ بمدينة  
إلا فتحها صلحًا أو عنوة، وتوجَّ ذلك  
كله بالانتصار على داهر ملك السند،  
ومضى يستكمل فتحه، فاستولى على  
حصن راوَد، ثم برهما ناباذ، والروور  
وبهرور، ثم اجتاز نهر بيَّاس وعبر إلى

إقليم المُلتان، فاستولى عليه بعد قتال شديد، وغنم كميات كبيرة من الذهب.

واستمرَّ ابن القاسم في مسيره حتى وصلت فتوحاته إلى حدود كشمير؛ وبذلك استطاع محمد بن القاسم أن يُخضع السند لحكم الخلافة الإسلامية في مدَّة لم تتجاوز ثلاث سنوات فقط، واستمرَّ محمد في فتوحاته لبقية أجزاء بلاد السند حتى انتهى منها سنة (٩٦هـ = ٧١٥م)، وبذلك قامت أول دولة عربية في بلاد السند والبنجاب، ولقد جاءت قبائل الميد والجات والزُّطِّ تقرع الأجراس فرحة هاتفة، مُرَحِّبَةً به

لأنه محرّرهم من ظلم الهندوس  
واستعبادهم.

وقد كان محمد بن القاسم راجح الميزان  
في التفكير والتدبير، وفي العدل  
والكرم، إذا قُورن بكثير من الأبطال،  
وهم لا يكادون يبلغون مداه في  
الفروسية والبطولة، ولقد شهد له بذلك  
الأصدقاء والأعداء.

### وفاته ونهاية محزنة

لما كان محمد بن القاسم الثقفي يُفكّر في  
أن يتوجّه بجيش الفتح إلى حدود بلاد  
الهند، وصله أمر الخليفة الجديد سليمان  
بن عبد الملك بالتوجّه إلى العراق،  
فرضخ الشاب المؤمن لقضاء الله،  
وهو يعلم أن مصيره الهلاك، لا لذنب

اقترفه؛ ولكن لسوء حظٍ وقع فيه،  
بسبب بعض تصرُّفات سياسية من  
قريبه الحجاج، واستعدَّ الفتى الحزين  
للسفر، فخرجت الجموع الحاشدة  
لتوديعه باكية حزينة، لم يكن العرب  
وحدهم يبكون على مصيره؛ بل أهل  
السند من المسلمين، حتى البرهميون  
والبوذيون كانوا يذرفون الدموع  
الغزيرة، ويرجونه أن يبقى في بلاد  
السند، وسوف يقفون خلفه إذا دقَّ  
الخطر بابه، ولكنَّ نفسه الأبية رفضت  
مخالفة أمر الخليفة.

ووصل محمد بن القاسم إلى العراق،  
فأرسله والي العراق صالح بن عبد  
الرحمن مقيدًا بالسلاسل إلى سجن

مدينة واسط بسبب عداوته للحجاج،  
وهناك عذبه شهورًا بشتّى أنواع  
التعذيب؛ حتى مات البطل الفاتح في  
سنة (٩٦هـ = ٧١٥م).

إن البطل محمد بن القاسم الثقفي فاتح  
بلاد السند، يُعتبر من أعظم الأبطال في  
التاريخ الإسلامي، إنه بطل بما تحمله  
كلمة البطولة من معانٍ، وقد أودع الله  
— عز وجل — بين جنبيه نفسًا بعيدة  
المطامح لخدمة الإسلام.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات